

نفحات القرآن

[246] والجدير ذكره هو أننا نقرأ في حديث أن رجلا جاء إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وسأل : ما رأس العلم ؟ فأجاب (صلى الله عليه وآله وسلم) : " معرفة الحق - معرفته وأضاف : أن تعرفه بلا مثال ولا شبه وتعرفه إلهاً واحداً خالقاً قادراً أو لا وآخرراً وظاهراً وباطناً ، لا كفو له ولا مثل له فذاك معرفة الحق معرفته " (1) ومن الواضح أن (حق معرفته) هذه نسبية وإلا - كما قلنا - لا يعرفه على ما هو عليه أحد .

في الآية الثانية يعتبر القرآن الكريم القائلين بأن الحق ثالث اقنوم من الأقانيم الثلاثة (2) كفّاراً (لقد كفّروا الذين قالوا إنّ الحق ثالث ثلاثة) . وينبغي الالتفات إلى أن الآية لم تقل : إنّ الذين يعتقدون بالآلهة الثلاثة كفّار بل تقول : (إنّ الذين يعتبرون الحق اقنوماً ثالثاً أو ذاتاً ثلاثة كفّار) . وقد سلك المفسّرون في فهم مضمون الآية مسالك مختلفة . فقال بعضهم : إنّ المراد هم الذين يعتقدون أن الحق جوهر واحد في الذوات الثلاث (الأب) و (الإبن) و (روح القدس) ، ويقولون : إنّّه واحد في عين تعدّده ، كما أن لفظ الشمس يشمل قرص الشمس ونورها وحرارتها والثلاثة واحدة (3) ، وبعبارة أخرى : المراد هو عقيدة (التوحيد في التثليث) القائلة بأنّ الحق في عين كونه ثلاثة يكون واحداً (وهذا كلام غير معقول طبعاً لأنّ العدد " ثلاثة " لا يساوي " واحداً " أبداً ، إلاّ أن يكون أحدهما مجازياً والآخر حقيقياً) . وقد جاء في تفسير القرطبي : إنّ الآية تشير إلى فرق النصارى من الملكية (أو الملكانية) والنسطورية واليعقوبية لأنّهم يقولون : أب وابن وروح القدس إله واحد (4) . _____ 1 - بحار الأنوار :

14/3 . 2 - الاقنوم بمعنى الأصل والذات وجمعه أقانيم ، وهو تعبير يطلقه النصارى على الآلهة الثلاثة ومسألة التثليث . 3 - تفسير الفخر الرازي : 12/60 . 4 - تفسير القرطبي 44/2246 ، وقد جاء هذا المعنى أيضاً في تفاسير أخرى مثل روح البيان والمنار في ذيل آية البحث .